

سُوْرَةُ الْقِيَامَةِ



النَّزُولُ: مَكْيَةٌ.

المَقَاصِدُ:

- ١ - إثبات يوم القيمة وذكر بعض أحداثه.
- ٢ - تسلية النبي ﷺ بحفظ القرآن في قلبه.
- ٣ - إقامة الأدلة على عظمة قدرة الله تعالى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْمَوَمَةِ ﴿٢﴾ إِنَّمَا يَخْسِبُ الْإِنْسَنُ أَنَّ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ إِنَّمَا يَكْدِيرُ إِنْسَانًا عَلَى أَنْ نَسُوا بَنَاهُ، ﴿٤﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الْإِنْسَنَ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، ﴿٥﴾ يَشْتَأْلِيَانِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ إِنَّمَا يَرِقُ الْأَصْرُ ﴿٧﴾ وَحَسْفَ الْقَمَرِ ﴿٨﴾ وَجَمْعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ﴿٩﴾ يَقُولُ إِنَّمَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَ الْمَسْفَرِ ﴿١١﴾ يَبْرُوَانِ إِنْسَانٌ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَآخَرَ ﴿١٢﴾ بِلِ إِنْسَنٌ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٣﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً ﴿١٥﴾﴾

التَّفْسِيرُ:

- ١ - يقسم الله تعالى بيوم القيمة وهو يوم البعث والجزاء، ويقسم بالنفس المؤمنة التي تلوم صاحبها على التقصير والإهمال.
- ٢ - ينكر الإنسان الكافر والله البعث والحساب، ويجزم بأنه لا يمكن أن يعاد جمُع عظامه بعد أن تبلَى وتُفنَى. والاستفهام في الآية للتوبخ، ويردُ الله

تعالى عليه بأنه سبحانه قادر على أن يعيده كما كان، خلقاً سوياً، وهو قادر على أن يُعيَّد أدقَّ ما فيه كأطراف الأصابع، وما أشبهها في الدقة وبديع الصنع.

٦ - ٥ - ينكر الكافرُ البعثَ؛ ليستمرَّ على ما هو فيه من ضلال وانغماس في الشهوات، دون رادع أو زاجر، ولذا يسأل هذا الكافر عن وقت حصول يوم القيمة استهزاءً، وتكميلاً به.

٩ - ٧ - يبلغ من تأثير أحداث يوم القيمة أن يزيف بصر الإنسان، وينبهر من هول ما يرى. ومن ذلك أن يذهب نور القمر، فيصبح مظلماً، وأن يُضمَّ إلى الشمس، فتغدو الشمس والقمر شيئاً واحداً.

١٠ - ١٢ - يسأل الإنسان الكافرُ الفزعُ من هول ما يرى: أين أجد ملذاً ومهرباً من هذه الأهوال العظام؟ ويأتيه الجواب مصحوباً بالردع والزجر عن السؤال، وعن طلب الفرار، بآلا ملجاً أو مهرب، فهذا يوم البعث والرجوع إلى الله سبحانه للجزاء على الأعمال، حيث مستقر العباد في دار النعيم، أو في دار الجحيم.

١٣ - ١٥ - يُحاط الإنسان في أثناء الحساب يوم القيمة بجميع أعماله، أولها وأخرها، عظيمها وحقيرها، حسنها وسيئها، كما يُحاط بما كان يريد عمله أو يجب عليه عمله ولم يعمله؛ بسبب التسويف والمماطلة أو العجز والكسل. يُعلم الإنسان بكل هذا مع أنه عالم بما كَسَبَتْ نفسه، ومع ذلك يحاول الإنكار والتنصل من أعماله السيئة؛ ظناً منه أن ذلك ينفعه، ويختلق الأعذار الواهية ويجادل عن نفسه بالباطل، ولا ينفعه ذلك لأنَّه في قرارة نفسه عالم بكذبه، ولأنَّ أعضاءه ستشهد عليه بما عمل، فلا تبقى له حجة.

الفوائد والاستنباطات:

١ - يفيد دخول (لا) النافية قبل فعلِ القسم تأكيده، وهو من أساليب العرب، وفيه إشارة إلى أن الأمر واضح ولا يحتاج إلى قسم.

٢ - جمع سبحانه في القسم بين يوم القيمة والنفس اللوامة؛ لأنَّ المقصود من إقامة القيمة إظهار أحوال النفس اللوامة، والحكم عليها إلى السعادة أو إلى الشقاء. (التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٩١ / ٣٠).

٣ - استخدام صيغة المبالغة في وصف النفس باللوامة؛ لكثرة حصول

هذا الأمر من الإنسان، وفي ذلك امتداح لِمَنْ يكثُر من لوم نفسه على التقصير في حَقِّ الله والعزُّ على المسارعة إلى الخيرات.

(التفسير الكبير للرازي: ١٩١/٣٠).

٤ - نَصَّبَتِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعِيدَ تسوِيَّةَ الْبَنَانِ كَمَا كَانَ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا اكْتَشَفَهُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْبَصَمَةَ الَّتِي عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ تُمِيزُ كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِ الْغَيْرِهِ، حَتَّى فِي التَّوَائِمِ الْمُتَشَابِهَةِ. وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى إِتقَانِ الْخُلُقِ وَإِبْدَاعِهِ.

٥ - يَنْظُرُ : صُورَةُ خَسْفِ الْقَمَرِ، كَمَا فِي الْمَلْحُقِ.

٦ - أُعِيدُ لِفَظِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ خَمْسَ مَرَاتٍ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقتضِي تَوْبِيَّخَهُ وَتَقْرِيَّعَهُ، وَتَسْجِيلَ الظُّلْمِ وَالْجُحْودِ عَلَيْهِ. (التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي: ٢٨١/١٥).

٧ - أَعْظَمُ شَاهِدٍ عَلَى الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَفِي هَذَا أَكْبَرُ وَاعِظٌ لِهِ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَيَعْمَلُ بِمَا يَرْضِيهِ سَبَّحَانَهُ؛ لِيَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَاهِدًا لَهُ، لَا عَلَيْهِ.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمَعَهُ، وَقُرْءَانَهُ،﴾ ١٧ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَأَنْجَعَ قُرْءَانَهُ،﴾ ١٨
 ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ،﴾ ١٩ ﴿كَلَّا بِلَّ تُحْبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢٠ ﴿وَنَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ٢١ ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ٢٢ ﴿إِلَى رَبِّهَا
 نَاكِظَةٌ﴾ ٢٣ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَالَّسِرَةِ﴾ ٢٤ ﴿تَقْتُلُنَّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ٢٥

سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتته، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمَعَهُ، وَقُرْءَانَهُ﴾ ١٧ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَأَنْجَعَ قُرْءَانَهُ﴾ ١٨ قال: فاستمع له وأنصت ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلوات الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلوات الله عليه وسلم كما قرأه. (رواه البخاري في كتاب بدء الوحي - باب كيف بدأ الوحي، ومسلم في كتاب باب

الاستماع للقراءة، ومعنى قوله: «وكان مما يحرك شفتيه» أن من مظاهر هذه الشدة تحريره شفتيه بكثرة وسرعة؛ خشية أن ينسى).

التفسير:

١٦ - نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن العجلة في ترديد الآيات في أثناء نزول جبريل ﷺ بها عليه، وتلقينه إياها، تعجلاً منه ﷺ لحفظها، وحرصاً منه على تشيتها في ذاكرته، فالله تعالى يتعهد له بتشيit هذه الآيات في قلبه، وأن يحفظها فلا ينساها مطلقاً.

١٧ - فإذاقرأ جبريل ﷺ الآيات فأنصت أيها النبي الكريم إليه، واستمع لتلاوته حتى ينتهي منها، وتكون قد ثبتت في قلبك فاقرأها، وقم بتبليغها كما أمرت بذلك.

١٩ - تعهد سبحانه بحفظ الآيات في قلب نبيه ﷺ، وتعهد ببيان معناها، وتوضيح المراد منها.

٢٠ - ٢١ - تبدأ الآيات بالردع والزجر عن إنكار البعث، مع وضوح دلائله، وكثرة حججه، ومما يحمل الناس على ذلك التعلق بالدنيا وملذاتها وشهواتها، مما يؤدي إلى نسيان الآخرة، وعدم العمل لها، والخطاب في الآيتين للكفار.

٢٢ - ٢٣ - ثم بين سبحانه جانباً من حال السعداء والأشقياء يوم القيمة، فقال: وجوه أهل السعادة والنعيم مشرقة تظهر عليها النضارة والبهاء، وهي تنظر إلى ربها ذي الجلال والجمال والكمال، فتنعم بذلك غاية النعيم، ورؤيه الله تعالى في الجنة أعظم النعم.

٢٤ - ٢٥ - ووجوه أهل الشقاء مظلمة عابسة، مكفرة، فهي تترقب قبل دخول النار عذاباً عظيماً يصييها، وداهية كبرى تقصم فقار الظهر.

الفوائد والاستنباطات:

١ - هذه الآيات الأربع لا صلة مباشرة لها بسياق الآيات، فهي جمل معتبرة جيء بها في ثنايا كلام متصل للإشارة إلى أهمية الموضوع الذي تتحدث عنه، وأنه لا يحتمل التأخير حتى الانتهاء من الحديث، فأدخل التنبيه في وسط الكلام للإشعار بأهمية الأمر وخطوره. (بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٤٠ - ٥١).

٢ - تدل هذه الآيات على عظيم حرص النبي ﷺ على حفظ الآيات وتشبيتها في قلبه؛ ليقوم بتبلighها على أحسن وجه وأتمّه دون نقص ولا تحريف، كما تدل على إكرام الله تعالى له بإعفائه مِنْ بَذْلِ الجهد والوقت في حفظ الآيات، فقد تولّ سبحانه تشبيتها له في قلبه دون حاجة إلى معالجةٍ وجهد منه ﷺ.

٣ - جعل الله تعالى قراءة جبريل عليه السلام قراءته ﷺ، وفيه دلالة على عظيم شرف جبريل عليه السلام، وعلو منزليه ومقامه.

٤ - ورد في إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة أحاديث عديدة، منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونـه كذلك. (روايه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل السجود، ومسلم في كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين ربهم سبحانه).

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْتَّرَاقِ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقِ ﴿٢٧﴾ وَطَنَّ أَنَّهُ الْفَرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَلَنْفَتِ الْمَسَافُ إِلَى السَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رِئَكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْطَحَ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى لَكَ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يَرُكَ سُدَى ﴿٣٣﴾ أَلْمَ يُكَلِّفَهُ مِنْ مَنِ يُمْكِنُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى ﴿٣٥﴾ فَعَلَّ مِنْهُ الْرَّوْحَيْنِ الْذَّكَرُ وَالْأُنْثَى ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْكِيَ الْمُؤْنَى ﴿٣٧﴾

التفسير:

٢٦-٢٩ - تبدأ الآيات بالردع والزجر عن إشار الدنيا على الآخرة، ثم تخبر بأن الروح إذا بلغت عظام الترقوة، وهي العظام المحيطة بثغرة النحر أي: أسفل الرقبة وأعلى الصدر، بدأ منْ حول المحتضر يسألون عن طيب يعالجـه ويشفـيه؛ ظنـاً منهم بإمكان ذلك، وأنـه لم يحضر أـجلـه بعد، وتيـقـنـ هو مـنـ حـصـولـ الأـجلـ وـمـفارـقةـ الدـنيـاـ وـماـ فـيهـاـ، وـظـهـرـتـ عـلـيـهـ عـلامـاتـ الموـتـ

ومنها التواء إحدى ساقيه والتفافُها على الأخرى، وعدم قدرته على تحريكهما؛ لأنَّ الموت دَبَّ فيهما.

٣٠ - يُساقُ الْخَلْقُ جَمِيعًا، وَيُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُ كُلًاً مِنْهُمْ عَلَى أَعْمَلِهِ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ.

٣١ - ٣٣ - في هذه الآيات ذُمٌّ مَنْ كفر بالله تعالى، فلم يصدق بالقرآن، ولم يستجب لأمر الله بأداء الطاعات ومنها الصلاة، واستمر في تكذيب الحق والإعراض عنه والتولى عن الاستجابة، وزاد على ذلك التكبر والغرور والتطاول على الآخرين.

٣٤ - ٣٥ سبب النزول:

أخذ رسول الله ﷺ بيد أبي جهل وقال له: ﴿أولئكَ فَأَوْلَى﴾ فقال أبو جهل: بأي شيء تُهَدِّنِي؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً، وإنني لأشعر أهل هذا الوادي، ثم انسَلَ ذاتهَا، فأنزل الله كما قال له رسول الله ﷺ. (رواه النسائي في كتاب التفسير، وقال محققه: إسناده صحيح، وينظر: الصحيح المسبور: ٥٦٩/٤).

التفسير:

وعيد لهذا الكافر المتمرد المختال بعذاب شديد وعقاب أليم، يتناهى ويتضاعف جراء كفره وعناده.

٣٦ - يظن الكافر منبني الإنسان أنه خلق عبثاً، وأنه لا بعث ولا نشور بعد الموت، ولا حساب ولا جراء على الأعمال، وهذا ظنٌ باطل، والدليل على البعث ما ذكر في الآيات التالية:

٣٧ - ٣٩ - تُبَيِّنُ هذه الآيات أصلَ خَلْقِ الإنسان، حيث يبدأ تكوين الجنين من التقاء نطفة الرجل ببويضة المرأة، وتخسيبها، فتنمو حتى تصبح علقة في جدار الرحم، ثم يتكامل خلقُ الإنسان، ويُولَدُ سوياً حالياً من العيوب والآفات، واقتضت حكمة الله أن يجعل البشر من نوعين ذكر وأنثى.

٤٠ - إِنَّ مَنْ خَلَقَ النَّاسَ مِنْ مَاءٍ حَقِيرٌ قَلِيلٌ يُرَاقُ فِي الرَّحْمَةِ قَادِرٌ بلا ريب على إعادة خلقه بعد الموت، فإنَّ الإعادة في عرف الناس أهون من الإنشاء، فمنْ أَنْشَأَ الْخَلْقَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في قوله تعالى: ﴿إِذَا بَعَثْتَ الرَّاقِ﴾ دليل على أنَّ الروح تخرج من الجسد بتدرج حتى يتكامل خروجها منه، وتحصل حينئذ الوفاة. (ينظر: التفسير الكبير للرازي ٣٠/٢٠٤).
- ٢ - ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَنْفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أنه كناية عن اجتماع شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه. (جامع البيان للطبرى: ٢٩/١٩٥).
- ٣ - التمطي: التبخر في المشي تكبراً، وقد ورد ذمها في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجْرِي إِزَارَهُ مِنَ الْخِيلَاءِ خَسْفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجِلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (رواوه أحمد في المسند برقم ٥٣٤٠ وقال محققه شعيب الأرنؤوط: صحيح).
- ٤ - بدأت السورة، واختتمت بتأكيد حصول البعث، وردت على مُنْكِرِيهِ عدَّة مرات، كل ذلك بأسلوب غاية في القوة والزجر.
- ٥ - عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ ﴿إِلَيْسَ ذَلِكَ يَقِدِيرٌ عَلَى أَنْ يُنْجِي الْمَوْتَ﴾ قال: سبحانك، فبكى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. (روايه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة، وقال أبو داود بعد الحديث: قال أَحْمَدُ: يعجبني في الفريضة أن يدعوا بما في القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود).
- ٦ - ورد حديث يفصل المدة التي يعرف بها جنس الجنين ذكراً أو أنثى، فمن حذيفة بن أسيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إِذَا مَرَّ بِالنَّطْفَةِ ثَنَانٌ وَأَرْبَاعُونَ لِيَلَةً بَعْثَ اللَّهِ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجَلَدَهَا وَلَحَمَهَا وَعَظَامَهَا: ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَمْ أَنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ». وفي رواية: بضع وأربعين ليلة. (آخرجه مسلم في صحيحه ٢٦٤٥)، كتاب القدر بباب كيفية خلق الآدمي برقم ٢٦٤٤ - ٢٦٤٥.

وقد ذكر هذا الحديث الدكتور محمد جميل الحبّال، ثم ذكر موافقة الطب الحديث لذلك، فقال:

- أ - تكون الغدد التناسلية للجنين (Gonads) غير متميزة من ناحية نوعية الجنس (مشتركة) حتى نهاية الأسبوع السادس من عمر الجنين (Sexually

(undifferentiated) وبعدها تبدأ بالتميّز، بأن تأخذ المسار الذكري أو الأنثوي ! .

بـ - لقد اكتُشِفَ حديثاً وفي السنوات الأخيرة فقط ، وعند دراسة آلاف الحالات من الحمل في بداياته لمعرفة نوع جنس الجنين ، وذلك بواسطة آلة التصوير بالأمواج فوق الصوتية المتتطور ، وبالدوبлер الملون ومتابعتها بعد الولادة ، والتأكد من صحة النتائج ؛ اكتشف أن ظهور الجنين مع بدايات تكوين زغابات المشيمة وأوعيتها الدموية (Chorionic Villi) في نهاية الأسبوع السادس أو منتصف الأسبوع السابع (ما بين ٤٢ - ٤٥) يوماً تقريباً بالضبط وما بعدها . . كما ظهر من النتائج أن معظم حالات الحمل الذكري كانت تظهر في انغراسها (التعشيش) (Implantation) في بطانة الرحم في الجهة اليمنى والأنثوية في الجهة اليسرى منه وذلك بنسبة ٩٧,٥٪ من الحالات .

وينظر : الملحق لبيان صورة الجنين في اليوم الثاني والأربعين .

